ASJP
Algerian Scientific Journal Platform
مجلة التواصلية
ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537
HTTPS://WWW.ASJP.CERIST.DZ/EN/PRESENTATIONREVUE/294

المجلد: 08 العدد: 02 (2022) ص112/96

جهود العلامة أبي العباس أحمد الغبريني في خدمة أدب التراجم الجزائري

Title The efforts of Abu Al-abbas Ahmed Al-GhubriniIn the service of the Algerianliterature biography

نصيرة عليوة*

جامعة الدكتور يحيى فارس–المدية (الجزائر)

manessa.omriadh@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/04/08
تاريخ القبول:
2022/05/ 11

الكلمات المفتاحية:
- ✓ التراجم
- ✓ الأدب الجزائري
- ✓ جهود
- ✓ أبو العباس الغبريني
- ✓ بجاية

الملخص

عرف فن التراجم عناية فائقة من قبل المسلمين في المشرق والمغرب، وقد بدأت هذه العناية بعد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بزمن يسير، حرصا منهم على صيانة الحديث النبوي من التلفيق، ومن ثم نشأت التراجم لتتناول سير وأحوال ناقلي الأخبار وحياة الأعلام الذين تركوا آثارا في المجتمعات، عبر مختلف العصور. من بين أولئك الذين كانت لهم بصمة واضحة في فن التراجم في المغرب الإسلامي العلامة الجزائري أبو العباس أحمد الغبريني، الذي ترك لنا أثرا علميا يكشف لنا فيه عن ملامح الازدهار الفكري والعلمي والثقافي في بجاية خلال القرن السابع الهجري، ألا وهو كتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية". يعد هذا الكتاب من كتب التراجم التي تناولت تاريخ هذه المدينة خلال حكم الدولة الحفصية، مع التفصيل في سير أعلامها الذي عاشوا وتوافدوا عليها، صنفه قاضيها وفقيهاالغبريني وترجم فيه مائة وتسع من رجال القرن، لذا اعتبره الكثير أحفل سجل عن هذه الحقبة الذهبية التي عرفتها الجزائر.

Article info

Received
08/04/2022
Accepted
11/05/2022

Keywords:
- ✓ *The biography*
- ✓ *Algerian Literature*
- ✓ *efforts*
- ✓ *Abu Abbas Al-hubrini*
- ✓ *Bejaia*

Abstract

The art of biography knew a great care by Muslims in the East and West,This care began after the Prophet, in a short time,In order to maintain the Prophet's modernization of fraud,At that time this art grew up to study the life of flags who left traces in communities across different times.Among those who had a clear fingerprint in this art in the Islamic Maghreb. Is the Algerian Abu Al-abbas Ahmed Al-Ghubrini,Which leaving us a book reveals the features of intellectual, scientific and cultural development in Bejaia during the seventh century Hijri,Talk in this book on the history of this city during the rule of stateHafsiya.And their flags they have lived and came to it.

* المؤلف المرسل

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

1. مقدمة:

يعد التأليف أحد الدعائم الأساسية في لحفظ تراث الأمم، وقيام الحضارات، وقد تطورت حركت التأليف العربية وازدهرت بعد قيام الدولة الإسلامية واتساع رقعتها، حيث شهدت هذه الحركة اهتماما واسعا خاصة من قبل العلماء والمؤرخين، وشهد المغرب العربي ومنطقة شمال إفريقية إبداعا علميا، ونضجا فكريا، لا مثيل له، إذ برز منهم علماء وفقهاء ومفكرون وقضاة ومؤلفون كان لا بدّ من تخليد مآثرهم، ليعرفهم الخلف بعد السلف، فجاءت كتب التراجم والسير لتعرفنا بحياة أولئك الأعلام، ابتداءً من تاريخ ميلادهم وحتى تاريخ وفاتهم، مركزين على إنجازاتهم وما قدموه من خدمة للدين والعلم.

ومن بين كتّاب التراجم في الجزائر: العلامة أبو العباس الغبريني الذي قدم لنا عطاءً ثرياً، حافلا بمعارف شتى، إذ كان يَعتبر التأليف في التراجم واجب عليه، لإبراز عطاء علماء سبقوه، فأراد أن يؤرخ لهم بتعريف هويتهم، وتسجيل مجهودهم، وجمع أخبارهم، وتوثيق نشاطهم ومناقبهم، فجاء لنا بكتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" يعد هذا الكتاب من كتب التراجم التي تناولت تاريخ هذه المدينة خلال حكم الدولة الحفصية، مع التفصيل في سِيَر أعلامها الذين عاشوا وتوافدوا عليها، واعتبره الكثير أحفل سجل عن هذه الحقبة الذهبية التي عرفتها الجزائر، يُبِينُ عن أمجاد رجال الأمة الأفذاذ في مختلف المجالات العلمية، فمن يكون هذا العلامة؟ وكيف كانت إسهاماته في كاتبة التراجم؟ وما هو الأثر العلمي الذي تركه لنا ليكشف لنا عن الازدهار العلمي والثقافي الذي عرفته منطقة بجاية؟

2. أدب التراجم (مفهومه ونشأته):

1.2. مفهوم التراجم:

التراجم فن من الفنون النثرية، التي ترتبط مباشرة بالتاريخ، حيث أنها تأخذ مادتها منه، ومن تجارب الحياة والمواقف الإنسانية، وهناك من يعتبرها فرعا من فروع كتب التاريخ، لذا نرى القدامى يفضلون تسمية مصنفاتهم في التراجم "بالتأريخ" "، ولعل تسمية بعض المتقدمين لمصنفاتهم في علم الرجال بالتأريخ دليل على ذلك؛ كما كان من الإمام البخاري في تواريخه، وقبله الليث بن سعد وعبدالله بن المبارك والوليد بن مسلم كما ذكر عنه ذلك الذهبي رحمه الله–، فكل هؤلاء صنفوا كتباً باسم التاريخ؛ وموضوعها التراجم والسير."[1] إلا أنها تقترب من الأدب كلما كانت موشحة بثوب البلاغة، منمقة بأساليب السجع والجناس والاستعارات والتشابيه، تعنى التراجم بدراسة سير الشخصيات والأعلام والمشاهير، ولعل أقرب تعريف لها ما قاله الدكتور إبراهيم الريس: "بأنه العلم الذي يعنى ببيان سير الأعلام عامة، وذكر حياتهم الشخصية، ومواقفهم وأثرهم في الحياة وتأثيرهم."[2] فالمترجم إذن يروي لنا حياة الأعلام من الناس في مختلف الحقب الزمنية، فيقوم بتسليط الضوء على حياتهم الشخصية والعلمية، بأدق تفاصيلها.

---

[1] الريس إبراهيم بن حماد ، 2002، علم التراجم، أهميته وفائدته، الرياض، السعودية، المكتبة الشاملة الذهبية، ص10.

[2] المرجع نفسه، ص12.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وعلى هذا الأساس فكتب التراجم تتناول بالدراسة حياة أفراد الأمة العلماء والصالحين والأدباء والكتاب والشعراء والشهداء والمجاهدين، أشخاص لهم مكانة، وتركوا بصمة وأثراً في مجتمعاتهم عبر عصور مختلفة، "وترجمة إنسان ليست من السهولة والعموم بالدرجة التي يتصورها كثير من الناس، فإن ذلك يحتاج إلى عدة مؤهلات، أولها: المعرفة الشخصية الواعية الناقدة، إذا كانت عن طريق المعاشرة والصحبة، فهي من أفضل المؤهلات وأقواها، وإلا فعن طريق الدراسة الأمينة وتتبع الأخبار، وأن تقوم بينهما صلة من الصلات التي تحث على تتبع الأخبار والتعرف على الخصائص، ويليها الاقتدار على البيان والتعبير وامتلاك ثروة لغوية، وكلمات مميزة ثم يأتي دور الأمانة والشعور بالمسؤولية، والقدرة على تفصيل اللباس على قامة المترجم له، والمعرف به."[1]

والتراجم تصور لنا صورة أقرب بكثير من الحقيقة والواقع الاجتماعي، لأنها تغوص في كل ما يتعلق بحياة الشخصية التي يترجمها، بشرط أن لا يبالغ المترجم في وصف الشخصية وصفا أدبياً، لأن الإسراف في الصورة الأدبية التي يقوم المترجم بعرضها يمكن له أن يُبعده عن الحقيقة والواقع الذي يجب أن يهدف إليه، وذلك لانصرافه من لب الموضوع إلى زخرف العبارة.

أما عن الفرق بين التراجم والسير هو أن التراجم تعنى بتاريخ موجز لحياة الشخصية، أما السير فتدل على عكس ذلك، فالمؤلف يسهب في ذكر حياة الشخصية والتفصيل فيها، أي أنه يسمي ما يكتب ترجمة حين لا يطول نفسه فيها، فإذا ما طال النفس واتسعت الترجمة سمى ما كتب سيرة. فالسيرة إذن هي ترجمة مطولة، قد تستغرق أكثر من مصنف واحد، كسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم التي كتبت في أربعة أجزاء. "السيرة هي ضرب من ضروب الترجمة تنفسح آمادها، وتزخر بالحديث الموسع، فالترجمة إذا طالت تسمى سيرة...وقد كان الحس التاريخي هو الأصل في كتابة السيرة، حيث كانت السير جزءاً من التاريخ، وكانت حياة الفرد تمثل جانبا هاماً من تصور الناس للتاريخ، وإيمانهم بأن الفرد هو الذي يصنع التاريخ."[2] فالسيرة أيضا نشأت في أحضان التاريخ، وهناك العديد ممن لا يرون أي فروق بين السيرة والترجمة، وإنما يعتبرون السيرة نوعا من أنواعها.

2.2. نشأة التراجم:

حفلت الأمم منذ القدم بتسجيل ذكريات أبطالها، ومشاهيرها وأعيانها، وقد بدأ هذا التسجيل بأشكال وصور مختلفة كالنحت على هيئة تماثيل، ونقوش على جدران المعابد وعلى الصخور، وعلى المعادن، كما توارثته الأجيال شفويا جيلا بعد جيل، ورددوا ذلك في مجالسهم وأحاديثهم، وما قصة أولئك الأعلام الذين كانوا مثالاً للصلاح والاستقامة ، والذين ذكر الله خبرهم مع أقوامهم في القرآن العظيم ، وما كان من وضع تماثيل لهم ليتذكروهم بها إلا صورة من صور علم التراجم[3]

---

[1] الندوي أبو الحسن ، 1985، كلمة عن أدب التراجم والحديث عن الكتب، الهند، مطبعة ندوة العلماء لكنهؤ، ص4.

[2] الشنيطي محمد صالح ، 2001، فن التحرير العربي، ضوابطه وأنماطه، السعودية، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ص215، 216.

[3] الريس إبراهيم بن حماد ، علم التراجم، أهميته وفائدته، ص16.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

فالترجمة قديمة قدم الإنسان ذاته، حيث تأتي موازية للتاريخ في النشأة أغلب الأحيان، وأول ما وصل إلينا من كتب التراجم كان من الإغريق والرومان، حيث "كتب بلوتارك كتابه (في سير عظماء اليونان والرومان) ليكون أمثلة واقعية للحياة التي يجب أن يكون عليها رجل السياسة، ورجل الدولة، كما وضع أرسطو كتابه (الأخلاق) ليكون تمهيدا لابد منه لكتابه المشهور (السياسة)، وما كتب سويتنيوس كتابه (حياة الاثني عشر إمبراطورا رومانياً) إلا ليكون نموذجا لحياة هؤلاء الأباطرة السابقين في تاريخ الرومان."[1] هذا ما يخص التراجم عند اليونان والرومان دون أن ننسى ذكر كتاب "حياة أجريكولا" لكاتبه الروماني "تاسيتس" والذي يلخص فيه حياة صهره القائد الروماني أجريكولا.

أما في العصور الوسطى فلم يكتب الأوروبيون في التراجم إلا شيئا ساذجاً، حتى ظهور صامويل بيبيس (1633-1703) الذي كتب يومياته ومذكراته وهذا يعتبر خطوة أولى في كتابة التراجم الذاتية، وبعده المؤرخ الفرنسي ريتز الذي كتب يومياته سنة 1672. وفي تلك الأثناء كان فن التراجم عند العرب يعرف باعاً كبيراً، وقد كتب قبلهم بقرون أسامة بن المنقذ كتابه "الاعتبار" وذلك في القرن الثاني عشر ميلادي، وفي القرن ذاته كتب لنا الشاعر عمارة اليمني كتاب "النكت العصرية" وهو ترجمة لنفسه ولغيره من الحكام والوزراء، ثم جاء بعدهما ابن خلكان بكتابه المشهور "وفيات الأعيان" وذلك في القرن الثالث عشر ميلادي، وهو كتاب ثقيل الوزن في التراجم، إذ جمع فيه ما يناهز الثمانمائة ترجمة، "وحين ظهرت في إنجلترا مجموعة التراجم التي تعد على الأصابع، والتي كتبها إيزاكوألتون في القرن السابع عشر، كانت كتابة التراجم قد بلغت قمتها في الآداب العربية."[2].

عموما فإن علم التراجم الذي اعتنى به أهل الإسلام وأهل الحديث خاصة فهو علم كانت نشأته ، منذ عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– حينما أنزل الله تعالى قرآناً يتلى إلى يوم القيامة وفيه التنبيه على ضرورة معرفة الناقل للأنباء والأخبار، والتأكد من معرفة صلاحه واستقامته وتدينه، ثم بعد عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– بزمن يسير ، وحينما أحس علماء الإسلام بما قد يلحق المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام من الدس والتلفيق والكذب والزور ؛ نشأ هذا العلم كما قال محمد بن سيرين حينما وقعت الفتنة؛ واستمر العمل على هذا، وظهرت المصنفات في جمع سير الأعلام عامة ورواة الحديث النبوي خاصة، وذلك لما يحتاجه أهل العلم من معرفة حال نقلة الأخبار النبوية.[3] وهذا يعني أن التراجم بلغت مع المسلمين مرحلة النضج والاكتمال، وذلك لارتباطه بحماية الحديث النبوي الشريف من التدليس. "والحق أن التراجم العربية الإسلامية قد فاقت من حيث كثرتها وتنوعها وافتنانها في ترتيب الأعلام، وافتنانها من حيث تبويب الموضوعات، والترجمة لأعيان كل بلد أو كل مدينة في كتاب واحد، والترجمة لأعلام النساء بجانب أعلام الرجال،

[1] حسن محمد عبد الغني ، 1955، التراجم والسير، القاهرة، دار المعارف، ص10.

[2] المرجع نفسه، ص12.

[3] الريس إبراهيم بن حماد ، علم التراجم، أهميته وفائدته، ص19.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وتحقيق الوفيات والمواليد...قد فاقت في كل ذلك غيرها من التراجم في الآداب الأخرى في القديم والحديث."[1] فالتراجم العالمية لم تعرف العناية في الضبط والتصنيف كما عرفته التراجم العربية.

3.2.أنواع كتب التراجم:

تتنوع كتب التراجم وتختلف، إلا أن أهل الاختصاص اتفقوا على تقسيمها إلى قسمين:

1.3.2. كتب التراجم غير المرجعية: وهي الكتب التي تتحدث عن شخصية واحدة أو عدد قليل من الشخصيات، بشكل مفصل وتدخل في هذا النوع السيرة والسيرة الذاتية أو المذكرات الشخصية، ومثال ذلك: سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لابن هشام، والسيرة النبوية لابن إسحاق، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي، وخلفاء الرسول لخالد محمد خالد، والأيام لطه حسين وغير ذلك...

2.3.2.كتب التراجم المرجعية: وهي التي تتناول بالدراسة عددا كبيرا من الشخصيات، والأعلام دون إسهاب وبشكل مختصر في أغلب الأحيان،تتميز هذه التراجم بالترتيب والتبويب حتى يسهل الوصول إلى المعلومة المطلوبة فيها، وهذا النوع من التراجم ينقسم بدوره إلى قسمين:

1.2.3.2.كتب التراجم العامة: وهذه الكتب تتناول ترجمة الشخصيات بشكل عام دون تصنيف بحسب التواريخ أو المواضيع، أو الأماكن، رغم أنه قد يحدث في بعض الأحيان تحيز من قبل الكاتب لكن دون قصد من ذلك، فينحاز مثلا إلى ذكر مشاهير بلده أكثر. وهذا النوع من كتب التراجم هو الشائع في التأليف، ومثال ذلك: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، وهو من ثمانِ مجلدات، كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي، كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي وغير ذلك...

2.2.3.2. كتب التراجم المتخصصة: وهذه عكس سابقتها، تترجم الشخصيات بحسب فئات تخضع للتصنيف الزمني أو الموضوعي أو الجغرافي، وهذه التراجم المتخصصة تقسم إلى أربعة أقسام:

أ.التراجم التاريخية أو الزمنية: وهي خاصة بكل بحقبة زمنية معينة، كأعلام قرن معين، أو سنة معينة بغض النظر عن اهتماماتهم أو تخصصاتهم، أو بلدانهم، هي عامة التغطية محدودة الزمن، ومثال ذلك: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، وسلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لمحمد المرادي وغيرهم...

ب. التراجم الموضوعية: وهي التي تختص بموضوع واحد، أو مجال واحد أو تخصص واحد، وهي كثيرة أيضا أبرزها كتب الطبقات، ومن أمثلتها نذكر: طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، طبقات الأطباء والحكماء لسليمان بن جلجل، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير...

ج.التراجم الجغرافية: وهي التراجم الخاصة بالأمكنة، (المناطق والبلدان والحواضر والمدن...) تترجم لأعلام حيز جغرافي معين، وهي أقل الأقسام في التأليف خاصة التأليف القديم بسبب عدم وجود التقسيمات التي نعهدها اليوم، وكمثال عن

[1] حسن محمد عبد الغني ، التراجم والسير، ص12.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ذلك نجد: كتاب المقتبس من أنباء أهل الأندلس لابن حيان القرطبي، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين لعادل نويهض...

د. **تراجم الأنساب والقبائل**: هذه التراجم تخص قبائل وأسر ولا تختص بالأفراد، تختص في موضوع أنساب القبائل والتعريف بها وذكر بطونها، كالتعريف ببطون قريش مثلا، لذلك هناك من صنفها ضمن التراجم الموضوعية، ونذكر كمثال عن ذلك: جمهرة أنساب العرب لابن حزم، معجم قبائل المملكة العربية السعودية لحمد الجاسر وغيرها...[1]

وقد نجد من كتب التراجم المتخصصة ما يختص بالزمان والموضوع ككتاب الثعالبي الذي يتناول تراجم الشعراء في القرن الرابع "أن فكرة كتابة التراجم حسب العصور أو القرون قد سبق بها الثعالبي حين ترجم في كتابه المشهور "الدرة اليتيمة" لأعلام شعراء القرن الرابع"[2]، وهناك من التراجم ما يختص بالزمان والمكان ككتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجايةللغبريني.وغير ذلك...

4.2. أهم كتب التراجم:

عني المسلمون منذ فجر الإسلام بفن التراجم للأسباب المذكورة آنفاً، في المشرق والمغرب، فسجلوا جوانب من حياتهم ودوّنوا انجازات أعلامهم، فحفلت المكتبات العربية بهذا النوع من الكتابة على مدى التاريخ وإلى يومنا هذا، وأصبحت التراجم لا تقتصر على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء والصحابة كما كانت سابقاً بل توسعت وأصبحت تشمل أرباب كل فن وعلم ومذهب وصناعة، وتجمع بين العلم والأدب والتاريخ. وهذه قائمة ببعض كتب التراجم المعروفة:

1ـ كتاب السيرة النبوية لمحمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري (ت218هـ).

2ـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت942هـ).

3ـ كتاب المغازي لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الواقدي (ت 207هـ).

4ـ كتاب السيرة النبوية لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير (ت 774هـ).

5ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لمحمد بن عبد الله بن يحي بن سيد الناس(ت734هـ).

6ـ الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ بن حجر العسقلاني (ت 852هـ).

7ـ الاستيعاب في تمييز الصحابة، للحافظ بن عبد البر القرطبي (ت 463هـ).

8ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير عز الدين أبو الحسن الجزري (ت637هـ).

9ـ حلية الأولياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت430 هـ).

10ـ أنباء الغمر بأبناء العمر، للحافظ بن حجر العسقلاني (ت 852هـ).

---

[1] تاريخ النشر 28 ديسمبر 2010، https://kenanaonline.comينظر: كردي أحمد السيد ،2010، كتب التراجم، دراسة منشورة بالموقع الإلكتروني: تاريخ الزيارة 21 أوت 2021.

[2] حسن محمد عبد الغني ، التراجم والسير، ص46.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

11ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للإمام السخاوي (ت902هـ)

12ـ ذيل طبقات الحنابلة لزين الدين عبد الرحمان بن رجب ابن النقيب الحنبلي (ت795هـ).

13ـ سير أعلام النبلاء للحافظ محمد بن أحمد الذهبي (ت648هـ)

14ـ طبقات الحفاظ للكاتب نفسه.

15ـ كتاب الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل الصفدي (ت764هـ).

16ـ معجم الأدباء لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي (ت626هـ)

17ـ بغية الوعاة في تاريخ اللغويين لجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ).

18ـ طبقات الحفاظ للكاتب نفسه.

19 ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لأحمد بن القاسم بن يونس الخزرجي بن أبي أصيبعة (ت 596هـ).

20ـ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار (ت 1335هـ)

21ـ الدر المنتثر من رجال القرن الثاني والثالث عشر ، لعلي علاء الدين بن نعمان الألوسي(ت1340هـ).

22ـ الدر الكامن في أعيان القرن الثامن، للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ)

23ـ ذيل طبقات الحنفية، لجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ).

24ـ تاج التراجم، لقاسم بن قطلوبغا الحنفي (ت 879هـ).

25ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لشمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت671هـ).

26ـ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس أحمد بن محمد الغبريني (ت704هـ).[1]

5.2. تراجم الأعلام في الأدب الجزائري:

شهدت حواضر المغرب العربي بما فيها الجزائر بعد الفتح الإسلامي ازدهارا ونضجا فكريا كبيراً، وتطورت حركت التأليف أيما تطور في المنطقة المغاربية، فمن العلماء من كتب في الجغرافيا ومنهم من كتب في التاريخ وفي الأدب ومنهم من كتب في الطبقات والتراجم والسير، فأسهم علماء الجزائر تحديدا في هذا النوع من الكتابة المؤرخة للأعلام، لاسيما أعلام الأولياء والصالحين وعلماء الأمة، منذ القرون الأولى للهجرة، وقد تنوعت الكتابة في التراجم ما بين تراجم عامة وتراجم متخصصة، ومن بين ذلك:

1.5.2. كتاب البستان في ذكر العلماء الأولياء بتلمسان لابن مريم التلمساني: وهو أحد علماء القرن العاشر بتلمسان الذين كتبوا في التراجم، وهو أبو عبد الله محمد المديوني التلمساني، اشتغل منذ صغره بالمطالعة وتقييد الأخبار وترك لنا عدة مؤلفات، ما يهمنا منها هو كتاب البستان، من التراجم المتخصصة، قام فيه ابن مريم بترجمة مائة واثنين وثمانين عالما من علماء تلمسان الذين اشتهروا في عصره وفي العصور التي سبقته من علماء الحديث والفقه واللغة،

[1] ينظر: القطان عمر عبد الغفور ، جانفي 2014،مقال: كتابة التراجم والسير، مجلة إضاءات موصلية، جامعة الموصل، العراق، العدد 79، ص4،5.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بالإضافة إلى ترجمة لأولياء المنطقة وصالحيها، من الذين بلغوا مكانة عالية في الصلاح والعلم والتصوف، وقد جمع بين هؤلاء العلماء والأولياء صلتهم بتلمسان من قريب أو بعيد، أي أن أصلهم منها، أو ولدوا فيها، أو عاشوا فيها، أو زاروها أو مرّوا بيها. يقول ابن مريم: "فقد طالعت ما أشرتم به عليّ من ذلك التأليف الأبرك، المتضمن جمع أولياء تلمسان، فقهائها الأحياء منهم والأموات، وجميع من كان بها وحوزها وعمالتها، فأسعفتكم بما طلبتم."[1]

2.5.2. كتاب الوفيات لابن قنفذ القسنطيني: وهو أبو العباس أحمد بن حسن بن علي المعروف بابن الخطيب، المولود سنة 740هـ بقسنطينة، ترك لنا ابن قنفذ القسنطيني مؤلفات عدة، وما يهمنا منها كتاب الوفيات، كتاب تراجم خصصه للتعريف بالعلماء المسلمين منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى غاية سنتين قبل وفاته أي سنة 807 هـ، جاء هذا الكتاب ذيلا لكتاب آخر سماه "أسنى المطالب في شرف الطالب، وهو كتاب في علم الحديث، إلا أن كتاب الوفيات نال من الشهرة أكثر،[2] "ترجم فيه لمائة وتسعة وثلاثين من علماء المائة الأولى وأكثرهم من الصحابة، وخمسة وثمانين من المائة الثانية، وست وخمسين من المائة الثالثة، وست وثلاثين من المائة الرابعة، وثمانٍ وثلاثين من المائة الخامسة، وواحد وخمسين من المائة السادسة، وست وأربعين من المائة السابعة، وسبع وخمسين من المائة الثامنة، وثلاث أعيان من المائة التاسعة ليصل بذلك عدد التراجم في كتابه إلى خمسمائة وأحد عشر . والظاهر في الكتاب غلبة أعيان المذهب المالكي في الجزائر والمغرب وأكثر تراجم المائة الأخيرة من قسنطينة."[3] وكتب أيضا بالإضافة إلى هذين الكتابين في علم التراجم، كتاب: أنس الفقير وعز الحقير في ترجمة الولي الصالح أبي مدين الغوث، وكتاب: طبقات علماء قسنطينة وهو كتاب في حكم المفقود.

3.5.2. كتاب تاريخ الأئمة لابن الصغير التيهرتي: كتبه التهرتي من علماء المذاهب سنة 300 هـ يترجم فيه لأعيان المذهب الإباضي في الجزائر، ومن أعلامه: أبو يقضان، وعبد الرحمان بن رستم، أبو حاتم يوسف وغيرهم... إلا أنه توقف سنة 294 هـ، فهو لم يتم تألف كتابه إما لهجرته من تيهرت، أو لوفاته، أو أن الكتاب الصغير الذي وصل إلينا ما هو إلا نقلا الكتاب الأصلي أو من بقاياه."[4] ومن مآخذ هذا الكتاب أنه لم يهتم فيه صاحبه بتدوين تواريخ الميلاد أو الوفاة للمترجم له، لغلبة الطابع القصصي عليه، وقد اعتبره الكثير المرجع الأول في تاريخ الدولة الرستمية، باعتباره أقدم وثيقة وصلت إلينا تتحدث عن المذهب الإباضي وأعلامه.[5]

4.5.2. كتاب الوفيات للونشريسي: وهو أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي المشهور بكتابه المعيار، وهو أحد علماء المغرب الإسلامي من الذين أسهموا في كتابة التراجم، من خلال مؤلفه "الوفيات" المولود سنة 834هـ عاش

---

[1] التلمساني ابن مريم ، 1908، البستان في ذكر العلماء الأولياء بتلمسان، راجعه: الشيخ محمد بن أبي شنب، الجزائر، المطبعة الثعالبية، ص3.

[2] ينظر: القسنطيني ابن قنفذ ، 1983، الوفيات، تح: عادل النويهض، لبنان، دار الأوقاف الجديدة، ص17.

[3] عزلاوي محمد ،2015، جهود الجزائريين في الترجمة للأعلام، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، المجلد 13، العدد1، ص510.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص507.

[5] ينظر: سعيدوني ناصر الدين ، 1999،من التراث التاريخي للغرب الإسلامي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص15،

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بتلمسان، ألف العديد من المصنفات والكتب، أهمها شرح الخزرجية والمعيار والوفيات، أما الوفيات فيتناول وفيات رجال الفقه والقضاء والحديث والتصوف والسياسة في بلاد المغرب والأندلس، عبر قرنين من الزمن من عام 701هـ حتى عام 912هـ. وقد بلغ مجموع الوفيات فيه ما يقارب ثلاثمائة وفاة. ويذكر في العام الواحد بين وفاة إلى سبع وفيات.[1]

5.5.2.كتاب إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع لابن سودة: وهو عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المتوفي سنة 1400هـ، هو كتاب مختصر جعله المصنف ذيلا لكتاب "التقاط الدرر" جمع فيه وفيات ما بين القرن الثالث عشر ونهاية القرن الرابع عشر، وهو مرتب على السنوات، يقول في مطلعه: "رتبته على السنين كأصله...ذاكرا فيه وفاة الشخص في عامه الذي توفي فيه، وبعض التحليات التي رأيته موصوفا بها، ذاكرا تحلية من عاصرتهم واتصلت بهم، أو الذين رأيت من عاصرهم واتصل بهم، أو ما اتفق عليه في تحليتهم، سواء كان المذكور من العلماء، أو من رجال الصلاح والدين، أو من الوزراء والباشاوات الذين هم رجال السياسة."[2]

3. إسهامات الغبريني في أدب التراجم الجزائري:

1.3. نبذة عن حياة أبي العباس الغبريني: نحاول في هذه الورقة أن نقف على أبرز محطات حياة العلامة الغبريني، صاحب "عنوان الدراية" الذي ترجم فيه لكل علماء منطقة بجاية وشيوخها وفقهائها وقضاتها، ونبدأ التعرف عليه بذكر نسبه ومولده.

1.1.3. نسبه ومولده: اتفق المترجمون على اسم الغبريني ولقبه وكنيته ونسبه، واسمه هو"أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي، المكنى بأبي العباس الغبريني."[3] وأول من ذكر ترجمة الغبريني هو ابن فرحون في كتابه الديباج المذهب فقال: "أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني البجائي."[4] وقد ذكره أيضا ابن قنفذ القسنطيني في الوفيات: "توفي الفقيه المحدث الجليل الشهير الفاضل قاضي الجماعة ببجاية أبو العباس أحمد بن محمد الغبريني."[5]

والخلاف يقع على اسم والده فهناك من يقول أن اسم والده محمد وهناك من يذكر أنه أحمد وهناك من يقول أنه عبد الله والأرجح هو أحمد لاتفاق اكثر المترجمين له على ذلك،"والمشهور أنه أحمد، وقد ذهب إليه ابن القنفذ في الوفيات، وتبعه ابن القاضي صاحب لقط الفرائد، وقد أيّد هذه الرواية الشيخ محمد الشاذلي نيفر، والقاضي النباهي."[6] أما عن سنة ميلاده فلم تُضبط في معظم كتب التراجم والطبقات، وقليل من ذكر ذلك ككتاب الأعلام للزركلي وكتاب معجم أعلام الجزائر للنويهض وذكر أيضا في كتاب عنوان الدراية ذاته من قبل محقق الكتاب، وكان ذلك سنة (644هـ/

---

[1] ينظر: أحمد لشهب، 2019، مقال: كتب وفيات الأعلام، وفوائدها العلمية، وفيات الونشريسي أنموذجاً، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، مجلد 23، عدد 46، ص125.

[2] بن سودة عبد السلام ، 1997،إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع. تح: محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص9.

[3] نويهض عادل ، 1980، معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، ص248.

[4] المالكي ابن فرحون ، دت، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح: محمد الأحمدي عبد النور، السعودية، مطبعة المدينة، مج1، ص252.

[5] القسنطيني ابن قنفذ ، الوفيات، ص338.

[6] بلبشير عمر ، جوان 2005.مقال أبو العباس الغبريني وكتابه عنوان الدراية، مجلة عصور، جامعة وهران، العدد 6-7، ص224.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

1246م)[1] ببجاية وتحديدا ببني غبرين بأحواز العزازقة من بلاد القبائل الكبرى، وينسب الغبريني إلى "بني غبرين" كما ذكر محقق كتابه، وهي بطن قبائل الأمازيغ البربر.[2]

2.1.3.نشأته وتعليمه: نشأ أبو العباس الغبريني نشأته الأولى في مسقط رأسه قرب بجاية، وتحديدا في موطن عشيرته الكائن في ضواحي عزازقة في أعلى وادي سباو بالقرب من مدينة بجاية، وقيل في بجاية بالذات.[3] كبر وترتع فيها في أسرة محافظة، وفي بيئة علمية توارثت العلم، فقد نبغ من أسرته أعلام عدة كأبي النجم هلال بن يونس الغبريني، وأبي القاسم أحمد بن أحمد الغبريني، وورثه من بعده ابنه أحمد بن أحمد بن أحمد أبو سعيد الغبريني. بدأ مسيرته العلمية فيها بحفظ القرآن الكريم ورسمه، ثم انتقل إلى بجاية التي كانت حاضرة من حواضر العلم، يقصدها علماء تونس والأندلس، فدرس فيها مبادئ العلوم الشرعية والأدبية.

رحل بعد ذلك إلى تونس وواصل تلقي العلوم فيها، موزعة بين علمي الدراية والرواية ـ والمقصود بالدراية علم الفقه وعلم الأصلين: أصول الدين وأصول الفقه، وعلوم اللغة العربية وعلم المنطق والتصوف، أما علم الرواية فيعني علوم التفسير وعلوم الحديث ـ وما كان رائجا في عصره من معارف عقلية ونقلية، وبذلك نستنتج أنه نشأ في أكبر حاضرتين علميتين في بلاد المغرب العربي. أما عن مشايخه فقد ذكر عادل نويهض في مقدمة الكتاب أن عدد شيوخه بلغ حوالي سبعين شيخاً، وقد تعدد هؤلاء المشايخ من تونس والأندلس والمغرب الأوسط وإفريقيا[4].

ومن بين شيوخه نذكر: ـ **أبو محمد عبد العزيز القيسي** (ت686هـ) قاضي بجاية، وقد أخذ عنه علم الحديث، حيث يقول الغبريني: "قرأت عليه رحمه الله وحضرت دروسه، وسمعت منه كثيرا، قرأت عليه الجلاب، وقرأت بعده الموطأ بالجامع الأعظم."[5] ـ **أبو محمد عبد الحق ربيع** (ت675هـ) عالم الفقه والتصوف والأصول والمنطق والفرائض والحساب، أخذ عنه الغبريني الكثير من هذه العلوم وخاصة التصوف وهذا ما ذكره في ترجمته[6]. ـ **أبو عبد الله محمد بن الحسن بين ميمون التميمي القلعي** (ت 673 هـ) عالم اللغة العربية والنحو والصرف والبلاغة، لازمه الغبريني أكثر من عشر سنوات، حيث قال: "قرأت عليه الإيضاح من فاتحته إلى خاتمته، وقرأت عليه قدر النصف من كتاب سيبويه، وقرأت عليه قانون أبي موسى الجزولي، وقرأت عليه جملة من الأمالي، ومن زهر الآداب، ومن المقامات، ووقصائد من شعر حبيب، ومن شعر المتنبي.."[7]

---

[1] الزركلي خير الدين ، 2002، الأعلام، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ص90.

[2] الغبريني أبو العباس، 1969، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، بيروت،منشورات دار الآفاق الجديدة، ص9.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] الغبريني أبو العباس ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ص 10.

[5] المرجع نفسه، ص 64.

[6] المرجع نفسه، ص 57،58.

[7] المرجع نفسه، ص68، 69،

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ومن مشايخه نذكر أيضا ـ **أبو عبد الله التميمي** (ت القرن7 هـ) تلقى عنه الغبريني علوم اللغة العربية أيضا، قال عنه: لازمته لمدة طويلة، وما رأيت في علم العربية مثله، وانتفعت بما لم أنتفع بغيره، وقرأت عليه النحو واللغة والأدب والتصريف."[1] ـ **أبو العباس أحمد بن خالد المالقي**(ت660هـ) قرأ عليه المستصفى للغزالي والإرشاد وعلم المنطق والطب، قال عنه: "قرأت عليه جملة من (الإرشاد) وجملة من (المستصفى) وبعض (معيار العلم) في علم المنطق."[2] ـ **أبو عبد الله محمد بن صالح الكناني** (ت699هـ) أخذ عنه الغبريني علوم اللغة والحديث، قال عنه: "قلت، والخطيب أبو عبد الله بن صالح أحدُ من كثُرت القراءة عليه. والرواية عنه ببجاية."[3] ـ **أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمان الغماري** (ت682هـ) أخذ عنه الغبريني أصول الفقه، وبعض أصول الدين، قال عنه: "حضرت دروسه وشاهدتها، كان يبدأ بين يديه رحمه الله بقراءة الرقائق أولا وبعد ذلك بالفقه وأصول الفقه، وكان يُقرأ التهذيب عليه، ويُقرأ الجلاب."[4] وغير هؤلاء من العلماء الذين تلقى عنهم الغبريني تعليمه.

3.1.3. مكانته العلمية: كان الغبريني رحمه الله قوي الشخصية شديد الفطنة والذكاء، واسع المعرفة، عرف عنه اهتمامه بأخذ العلوم على اختلاف أنواعها، والسعي وراء المعارف رغم وعورة الطريق إليها، فكان ميله غير متناهٍ للفقه والتاريخ واللغة العربية والأدب،خاصة الشعر ، فاشتغل في التدريس مدة من الزمن، ثم انتقل إلى القضاء، وأصبح قاضياً "وليّ القضاء بمواضع عدة آخرها مدينة بجاية، فكان حكمه شديدا مهيباً، ذا معرفة بأصول الفقه، وحفظا لفروعه، وقيام على النوازل وتحقيقا للمسائل."[5] وبذلك نال مكانة رفيعة وأصبح من كبار بجاية،"وعُدّ حسب ابن خلدون كبير بجاية وصاحب شوارها."[6] وقد ذكر محقق كتاب عنوان الدراية عن النباهي ذلك فقال: "لما ولي خطة القضاء، ترك حضور الولائم، ودخول الحمام، وسلك طريق اليأس من مداخلة الناس."[7] وما يثبت توليه القضاء في بجاية هو ترجمة عدة علماء علماء له حيث ذكره الكتاني صاحب فهرس الفهارس في قوله: "هو العلامة القاضي الأديب أبو العباس أحمد..."[8]

---

[1] المرجع نفسه، ص308.

[2] المرجع نفسه، ص73.

[3] المرجع نفسه، ص79

[4] الغبريني أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ص94.

النباهي أبو الحسن، 1980، المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا (تاريخ قضاة الأندلس)، تح: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت،دار الآفاق الجديدة،

[5] ص132.

[6] بلبشير عمر ، مقال أبو العباس الغبريني وكتابه عنوان الدراية، ص226.

[7] الغبريني أبو العباس ، عنوان الدراية، ص132

[8] الكتاني عبد الحي، 1982، فهرس الفهارس والأثبات، اعتناء: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج1، ص308.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

والزركلي في كتاب الأعلام: "مولده في بجاية، وتولى قضاءها ومات فيها شهيدا."[1] وابن قنفذ في كتاب الوفيات: "قاضي الجماعة ببجاية أبو العباس أحمد..."[2] وذكره ابن فرحون في التاج المذهب: "قاضي القضاة ببجاية"[3]

ولما بلغ تلك المكانة، وبصفته كان قاضي القضاة في المنطقة، كان يجالس القضاة ويرتاد مجالس الولاة والكبار، ويجلس في بلاط الحكام، فيستشيره الكثير، ويدلي برأيه في المسائل المهمة، دون أن ننسى ذكر ميل الغبريني للتصوف والحديث عنه وعن الصوفية، ونلمس ذلك من خلال ترجمته لأبي مدين الغوث، وموقف أبي عليّ المسيلي، وأبي محمد عبد الحق الإشبيلي وغيرهم من أهل التصوف، وفي الوقت ذاته كان متشددا في التزام الأحكام الشرعية منكرا على كل من يخالفها من أدعياء التصوف.[4]

4.1.3. وفاته وما تركه من آثار: إن المنزلة الرفيعة التي بلغها الغبريني في بجاية جعلته يكون طرفاً في النزاعات السياسية التي حصلت في المنطقة، وفي كواليس البلاط، ونظرا لهذه المنزلة أصبح مبعوث السلطان أبي البقاء، فأرسله مرة إلى سلطان تونس أبي عصيدة، رفقة أحد أفراد العائلة الحفصية، وهو زكرياء الحفصي، وأثناء هذه المهمة قام الحساد بحبك مؤامرة وسخة ضد الغبريني، ونجح الوشاة في تسميم عقل الحاكم وإيغار صدره وقلبه عليه، وإغرائه بقتله، وتولى هذه المؤامرة كبير ضباط القصر، "ظافر الكبير" فأضمر له السلطان شراكبيراً، وعزم على قتله بسبب تهم باطلة لفقت له، أهمها أن الغبريني خان السلطان في سفارته، وأنه تواطأ مع البلاط الحفصي في تونس ضده، بالإضافة إلى انتقام السلطان لجده أبي اسحاق وأبيه أبي زكرياء، حيث اتهموا الغبريني بأنه هو من أغرى بني غبرين بالقبض عليهما. وكانت هذه الأسباب كافية بالإطاحة بالغبريني وإعدامه، وفعلا بعد عودته من تونس ألقي عليه القبض ونفذ فيه حكم الإعدام، على يد منصور التركي، سنة (704هـ / 1304م) وهو ما ذهب إليه ابن خلدون وابن قنفذ وابن فرحون في تراجمهم.

عند النظر في مكانة العلامة ومنزلته العلمية والرفعة التي بلغها في تحصيل العلوم، وما أخذه عن مشايخه من علوم شتى، خاصة ما أخذه من علوم القرآن الكريم والتفسير، والقراءات، والحديث الشريف وعلومه، والفقه وأصوله والعربية وعلومها وفنونها، وأصول الدين، والتصوف وقواعده، والرقائق والمأثور من الأذكار، والمنطق والفلسفة والتاريخ، إلا أنه لم يترك المؤلفات الكثير، توفي رحمه الله وترك لنا ثلاث مصنفات ومؤلفات لكنها ذات وزن وقيمة، وهي "المورد الأصفى" و"الفصول الجامعة"[5] و"عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" وقد ذاع صيته وبلغت شهرته المدى بفضل هذا المؤلف الأخير، فوصلت أرجاء إفريقية والأندلس والمشرق.

2.3. كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية:

---

[1] الزركلي خير الدين ، الأعلام، ص90

[2] القسنطيني ابن قنفذ ، الوفيات، ص338.

[3] المالكي ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ص252.

[4] ينظر: بلبشير عمر ، مقال أبو العباس الغبريني وكتابه عنوان الدراية، ص226.

[5] نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ص249

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

1.2.3. التعريف بالكتاب وسبب تأليفه: كتاب قيّم عرّف بأعلام القرن السابع، وما قُبَيْلَه من أعلام منطقة بجاية في الجزائر، قام بتأليفه قاضي القضاة العلامة الفقيه أبو العباس الغبريني، ترجم فيه لأكثر من مائة عالم وفقيه، وقاضٍ، وعرّف من خلاله بشيوخ الفكر ورجال العلم والأدب والتصوف، هؤلاء الذين ازدانت بهم منطقته في ذلك القرن، وأكثرهم ممن عاصر العهدين الموحدي والحفصي، وقد اعتُبر هذا المؤلَف من أجود كتب التراجم، فهو سجّل علمي ثري بالمعلومات عن تلك الحقبة التاريخية وأعلامها، أعطانا فيه الغبريني صورة جلية لما كانت عليه بجاية آنذاك، من حركة علمية وفكرية وأدبية واسعة، وهذا الباعث على تأليفه للكتاب، حيث أشار إلى ذلك في قوله: "وإني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية، في هذه المائة السابعة التي نحن في بقية العشر الذي هو خاتمها ختمها الله بالخيرات، وجعل ما بعدها مبدأ للمسرات، أذكر منهم من اشتهر ذكره، ونبل قدره، وظهرت جلالته، وعرفت مرتبته في العلم ومكانته."[1] فهو يرى وجوب تسجيل علماء عصره ومشايخه لأنه وجد أن المؤلفين في عصره لم يؤلفوا سجلا شاملا عن علماء تلك البلاد وذلك العصر وهذا ما أشار إليه في سبب تأليفه للكتاب.

شرع أبو العباس الغبريني في تأليف كتابه ما بين سنة 675هـ وسنة 699هـ، أما تاريخ الانتهاء منه فكان سنة 699هـ، أو بعدها بقليل، ويتبين ذلك من خلال ترجمته لشيخه أبي عبد الله محمد بن صالح أحمد الكناني الشاطبي الذي ذكر أن وفاته كانت سنة 699هـ.[2] وقد نشر هذا الكتاب لأول مرة في الجزائر سنة 1910م، بعناية محمد بن أبي شنب، طبعته المطبعة الثعالبية (1328هـ/1910م)، ثم طبع الكتاب طبعة ثانية سنة 1969، ومتن هذه الطبعة مصحوب بالفهارس، وقام عادل النويهض بتحقيقه، والتعليق عليه ونشره، كما طبع الكتاب طبعة ثالثة من تحقيق الأستاذ رابح بونار، وعن أهمية الكتاب قال عادل نويهض في مقدمة كتابه أنه "مميز عن باقي كتب التراجم والسير، ومصادر الطبقات، بحيث تميز بالشمول في التعريف بمختلف مشايخ وعلماء بجاية والمغرب الأوسط، سواء تعلم على أيديهم أم لا، كما أنه سجل بعض الأحداث التاريخية التي حضرها أو سمع عنها...ووضع بين أيدينا صورة صادقة عن الحياة العلمية والفكرية ببجاية، طيلة قرن من الزمن، تعرفنا من خلاله على طرق التعليم ومختلف العلوم العقلية والنقلية، وكيف أن مدينة بجاية كانت صلة تربط بين مختلف مراكز النهضة العلمية الإسلامية في المغرب والمشرق، هذا الكتاب له قيمة علمية وتاريخية كبيرة."[3]

2.2.3. محتوى الكتاب:

يعتبر نافذة مشرقة تطل على تاريخ وحضارة بجاية، فمن خلال العنوان يمكننا التكهن بمضمون الكتاب ومحتواه، وهو ذكر ترجمة وأخبار وحوادث متفرقة تتعلق بمجموعة من الأعلام بلغ عددها 109 عالم، استهل المصنف كتابه بذكر ترجمة لبعض علماء القرن السادس، ثم نتقل إلى علماء القرن السابع، ممن التقى بهم وأخذ عنهم، أو سمع عنهم، وافتتح التراجم

[1] الغبريني أبو العباس ، عنوان الدراية، ص55.

[2] ينظر: بلبشير عمر ، مقال أبو العباس الغبريني وكتابه عنوان الدراية،ص:228.

[3] الغبريني أبو العباس، عنوان الدراية، ص15.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بشخصية أبي محمد عبد الحق بن ربيع (ت675هـ) وختمها بشخصية أبي عبد الله المعروف بابن الجنات (ت610هـ). والملفت للنظر هنا أن الغبريني لم يقتصر على ترجمة العلماء البجائيين فحسب، بل تعدى الأمر إلى العلماء الوافدين إلى بجاية من أهل المشرق والأندلس، فكان عدد التراجم للجزائرينوالبجائيين وأهل إفريقية 65 عالماً، منهم على سبيل المثال لا حصر : "أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن عتيق الغساني (ت680هـ/1281م) من أهل الجزائر "[1] ونذكر أيضا: "أبو زكرياء يحي بن علي المشتهر بالزواوي، ولد في بني عيسى من قبائل زواوة بأقطار بجاية."[2] وكان عدد تراجم الأندلسيين الذين هاجروا إلى بجاية 36 عالما، على سبيل المثال: "أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي (ت594هـ/1198م) من ناحية إشبيلية ارتحل إلى بجاية."[3] أما تراجم المشرقيين فبلغ 7، منهم:"أبو العباس الجدلي، وهو من أهل أصبهان، من إيران، وصل إفريقية مهاجرا."[4]

كما قام الدارسون لهذا المؤلف بتصنيف العلماء بحسب اختصاصهم وعلومهم، ـ العلوم الدينية 52 عالما، ـ التصوف 19 عالماً، ـ اللغة العربية وآدابها 22 عالما، ـ التاريخ 5 علماء، ـ المنطق 6 علماء، ـ الطب والصيدلة 4 علماء، ـ العلوم العددية عالم واحد فقط.

3.2.3. منهجه في تأليف الكتاب:

ألف الغبريني مصنفاً جمع فيه عددا كبيرا من علماء ، وحرص كل الحرص على أن يدون فيه حقائق مثبتة، لا تلفيق فيها ولا تدليس، كما حرص على عدم التجريح فيهم، وذكر محاسنهم ومناقبهم وأعمالهم فقط، إذ عاهد نفسه أن لا يقدح فيهم، بل يذكر ما يميزهم من فضائل، حيث يقول: "وما زلت أنقد على من يذكر أهل العلم، ثم يغمز في شأنهم، ويشير إلى القادح، فلا أريد إلا الخير"[5]،وكان منهجه في الترجمة لهؤلاء يبدأ التعريف بصاحب الترجمة في رأس موضوعه، (اسمه وكنيته وصفته) وفي بعض الأحيان يذكر نسبه وأجداده إذا تحقق من ذلك، ثم يصف حال المترجم له، وما يعرف عنه منعناية بالعلم والأدب والفقه، كما يذكر انجازاته وما قدمه من خدمات علمية، ثم يختم الترجمة بشعر من أشعار المتَرجَم له إن كان شاعر أو قول من أقواله أو حكمة من حكمه إن وجد ذلك، أما إذا كان المترجم له وافدا إلى بجاية من الأندلسيين أو المشارقة فإنه يذكر أحيانا أخبارا عن رحلته.

ترجم الغبريني لأعلام المائة السابعة ولم يخرج عن ذلك إلا في بعض الاستثناءات، حيث ذكر بعض الأعلام من نهاية المائة السادسة كأبي مدين شعيب، لقرب عهدهم من المائة السابعة، تميز أسلوبه في الترجمة بالتركيز والإيجاز والاختصار، مبتعدا قدر المستطاع عن الاستطراد في ذكر التفاصيل، بل ذكر الأحداث المهمة في حياتهم وإنجازاتهم العلمية فقط. ومما

---

[1] المرجع نفسه، ص111.

[2] المرجع نفسه، ص127.

[3] المرجع نفسه، ص22.

[4] المرجع نفسه، ص183.

[5] الغبريني أبو العباس ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ص137.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ميّز كتابة الغبريني كثرة استشهاده بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية لإثبات صحة كلامه. ختم كتابه بما سماه: برنامج مشيخة المؤلف، أي أنه ترك شيوخه ومن تتلمذ على يدهم إلى ختام الكتاب، وهذا شيء قلما نجده، في كتب التراجم.[1]

4.خاتمة:

ونستخلص مما سبق الآتي:

ـ لكتب التراجم والسير أهمية بالغة في نقل أخبار العلماء والفقهاء فهي تزودنا بالمعلومات الدقيقة عن حياتهم (كالاسم الكامل والنسب وتاريخ الميلاد ومكانه، وتاريخ الوفاة، وسنوات تحصيل العلم وغير ذلك...) وتفيدنا في معرفة منهجهم العلمي، وتقصي وإحصاء مؤلفاتهم، ورصد ما تركوه لنا من علم وفير.

ـ ساهم العديد من مؤرخي الجزائر مساهمة فعالة في دفع عجلة التأليف في التراجم، فقد أدلو بدولهم في هذا العلم، وذاع صيتهم وبلغوا من الشهرة ما بلغه المترجمون في المشرق، ليؤسسوا وبجدارة مدرسة تراجم مغاربية لا تقل شأناً عن المدرسة المشرقية.

ـ يعد الغبريني من أبرز كتاب التراجم، ومن أكبر علماء حاضرة بجاية، التي تولى قضاءها، بعد أن تتلمذ على يد أفضل شيوخها، هذا الذي جعل تكوينه العلمي تكوينا فائقاً، فكرس حياته للعلم وطلبه وخدمته واستعمله في صلاح أمته، إلى أن لقي حتفه بسبب حسد الحاسدين.

ـ لم يخلف الغبريني وراءه سوى ثلاث مؤلفات أشهرها "عنوان الدراية" فهو من أنفس الكتب وأعظمها فائدة وأغزرها مادة، وهو عصارة مادة تاريخية غزيرة، عرَّفنا من خلالها على تراجم الرجال ومشايخ العلم بمنطقته في القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي.

ـ قدم لنا الغبريني من خلال كتابه صورة جلية متكاملة عن الحياة الثقافية لذلك القرن، حيث عكس ثقافة عصره ومنطقته، وعبّر بصدق عن اهتمامات الأعلام التي ترجم لها من الناحية العلمية والفكرية، كما أنه مرجع مهم ومادة مصدرية للكثير من جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية. لذا يعتبر "عنوان الدراية من أهم المصادر التي أرّخت للحياة الفكرية والعلمية ببجاية، فكشف لنا من خلاله ما كان خافيا للكثير منا عن تاريخ حضارتنا، خاصة فيما يخص الجانب العلمي، هذا ما جعل بجاية من أهم حواضر العلم في المغرب الإسلامي آنذاك.

[1] ينظر: عقبة السعيد ، نوفمبر 2016، مقال: المؤرخ أبو العباس الغبريني، وكتابه عنوان الدراية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الوادي، العدد7، ص382

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

5. قائمة المراجع:

المؤلفات:

1.بن سودة عبد السلام ، 1997،إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع. تح: محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

2.التلمساني ابن مريم ، 1908، البستان في ذكر العلماء الأولياء بتلمسان، راجعه: الشيخ محمد بن أبي شنب، الجزائر، المطبعة الثعالبية.

3.حسن محمد عبد الغني ، 1955، التراجم والسير، القاهرة، دار المعارف.

4.الريس إبراهيم بن حماد ، 2002، علم التراجم، أهميته وفائدته، الرياض، السعودية، المكتبة الشاملة الذهبية،

5.الزركلي خير الدين ، 2002، الأعلام، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين.

6.سعيدوني ناصر الدين ، 1999،من التراث التاريخي للغرب الإسلامي، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

7.الشنيطي محمد صالح ، 2001، فن التحرير العربي، ضوابطه وأنماطه، السعودية، دار الأندلس للنشر والتوزيع

الغبريني8.أبو العباس، 1969، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، بيروت،منشورات دار الآفاق الجديدة،

9.القسنطيني ابن قنفذ ، 1983، الوفيات، تح: عادل النويهض، لبنان، دار الأوقاف الجديدة،

10.الكتاني عبد الحي، 1982، فهرس الفهارس والأثبات، اعتناء: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج1،

11.المالكي ابن فرحون ، دت، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح: محمد الأحمدي عبد النور، السعودية، مطبعة المدينة، مج1،

12.النباهي أبو الحسن، 1980، المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا (تاريخ قضاة الأندلس)، تح: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت،دار الآفاق الجديدة،

13.الندوي أبو الحسن ، 1985، كلمة عن أدب التراجم والحديث عن الكتب، الهند، مطبعة ندوة العلماء لكنهؤ،

14.نويهض عادل ، 1980، معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية.

المقالات:

1.بلبشير عمر ، جوان 2005.مقال أبو العباس الغبريني وكتابه عنوان الدراية، مجلة عصور، جامعة وهران، العدد 6-7.

2.عزلاوي محمد ،2015، جهود الجزائريين في الترجمة للأعلام، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، المجلد 13، العدد1.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

3.عقبة السعيد، نوفمبر 2016، مقال: المؤرخ أبو العباس الغبريني، وكتابه عنوان الدراية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الوادي، العدد7.

4.القطان عمر عبد الغفور ، جانفي 2014، مقال: كتابة التراجم والسير، مجلة إضاءات موصلية، جامعة الموصل، العراق، العدد 79.

5.لشهب أحمد ، 2019، مقال: كتب وفيات الأعلام، وفوائدها العلمية، وفيات الونشريسي أنموذجاً، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، مجلد 23، عدد 46.

مواقع الأنترنت:

1.كردي أحمد السيد، 2010، كتب التراجم، دراسة منشورة بالموقع الإلكتروني:

https://kenanaonline.comتاريخ النشر 28 ديسمبر 2010، تاريخ الزيارة 21 أوت 2021.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)